ألفاظ الكُتّاب لتفقيه الألباب

جمانة محمد مراد

باحثة في الدراسات اللغوية والإسلامية

لغتنا العربية كانت ومازالت وستبقى معجزةً إلهيةً كبرى، اختارها الله لتكون اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فحفظت من التغييرات بحفظ الله لكتابه.

وإذا نظرنا إلى إعجازها فإنه لا يكاد يحيط بها وبعلومها عالِمٌ، ولا يستوعبها إلا عقلُ نبيّ.

وقد يقضي النحويُّ شطراً عظيماً من حياته وهو يبحث في كنائزها ويتلألأ مع ركائزها، فلا ينقل من مياه بحارها إلا كما يعلق بالمخيط إذا غمسته بالماء.

فضل اللغة العربية:

أما عن فضلها فأولُ ما يطالعنا نزول ديانة الأنبياء جميعاً بها في اللوح المحفوظ، ونزولها بوساطة جبرائيل عليه السلام بلسان عربي مبين، وأما الأنبياء ما سوى سيدنا محمدٍ فكانوا يترجمونها بلغة أقوامهم كالسريانية والعبرية والفرعونية وغيرها وهي تتفوّق في فضلها على كل لغات العالم إذ إنَّ عدد مفرداتها يتفوق على اثني عشرَ مليوناً من الألفاظ غير المكررة.

بينما الإنكليزية لا تصل إلى ستمئة ألف مفردة، والفرنسية إلى مئة وخمسين ألفَ لفظة والألمانية إلى مئة وستين لفظةً, والروسية إلى مئة وثلاثين ألفاً فقط, وأكثر من ٤٢٢ مليون ألف نسمة يتكلمون اللغة العربية في أنحاء العالم، لذلك كانت العربية هي القالب الذي بإمكانه أن يستوعب العلوم والفنون والاختراعات والتطورات والتحديثات: فمثلاً أنتَ تجد كلمة الهاتف مأخوذة من كلمة هتف، والغسّالة من غسل والبراد من بردَ، والسيارة من سار مع أن هذه الاختراعات حديثة ولم يخترعها العرب لكنّ لغتهم احتوتها.

ونحن عندما نربي النشء على تعلّم القرآنِ الكريم يخرج هذا الغلام أو تلك الفتاة بمخزون هائل من المفردات في المراحل الأولى من عمره خصوصاً وأنّ اللبّ في هذه المرحلة يكون خالياً من المسؤوليات التي ترهق العقل وتحجب عنه الكثير من العلوم، فالمعلومات تثبت ثبات الصخور المتجذّرة في طبقات الأرض لا تتزحزح ولا تتلوى.

فها هو الغلام يدخل سنّ الفتوة والشباب وقد حظي بكم هائل من المفردات، فيستطيع التعبير عن أفكاره في سائر العلوم بكلِّ أريحية ومقدرةٍ ثم يأتي دور علم الحديث النبوي الشريف ليثري معلوماته فيدخلها في طور الترجمة والتحليل للنصوص الإلهية فيربط الدارس ما بين القرآن والحديث أيما ربط. وكم من غلام لبيب قرض الشعر أو اعتلى مجلس الإفتاء وهو حديث الأسنان وتفوّه بما يعجز عنه الكبار، وكم من غلام خطب على ملأ من الناس بينما لا يجرؤ على ذلك الكثيرون.

تبدّل أحوال اللغات الأعجمية وثبات العربية:

لو نظرنا إلى اللغات الأعجمية عبر العصور لوجدنا الكم الهائل من الاختلاف الطارئ عليها فهي في تبدّل وتغيير منقطع النظير، فمنذ عصر الحضارات البائدة إلى عصرنا هذا انشقّ عن اللغة اللاتينية الكثير من اللغات المحلية فتمخضّ عن هذا الانشقاق لغة إنكليزية و فرنسية و ألمانية وروسية وعدِّدْ ولا حرج.

فكل هذه اللغات إذاً تنشطر عن لغة لاتينية اندثرت وبقيت لغة المتاحف والآثار الرومانية.

بل إنّ اللغة الواحدة تتغير من حين لآخر، فاللغة الإنكليزية مثلاً تتغير مفرداتها فتضمحلّ أو تندثر منها ألفاظ ليخرج إلى النور مفردات أخرى لو عاش أهل القرون الأولى معها اليوم لاحتاجوا إلى ترجمانٍ يترجمها.

أما اللغة العظيمة السيّدة على جميع لغات الأرض، فهي اللغة التي حُفظت بحفظ القرآن، فالكلمات التي تحدثتْ بها قريش الأولى لازلنا نفهمها ونتفاعل معها، بل ونتباهى ونزهو باستخدامها في النثر والشعر.

ومازلنا نعلّمها لأجيال وأجيالٍ لا تندثر ولا تتبدل على الرغم من جهالات العصور التي اعتورتها.

كيف لا وقد اختصّها الله لتحتضن كلماته، وتكون لغة أحبّ أنبيائه إليه وأعظمهم شأناً.

وفي دراسة روسية لظاهرة دفن النفايات ذات الإشعاعات الضارّة حار العلماء في إجراء طريقة لإعلام الأجيال القادمة وتحذيرهم من مكان دفنها وعدم نبشها فما وجدوا إلا لغة العرب ليشيروا بها إليها لقناعتهم الأكيدة أنها اللغة التي لم تتطرأ إليها يد التغيير والتحريف.

ولعلّ قائلاً يقول: بأيِّ لغةٍ يا ترى سنتحدث يوم القيامة مع اختلاف الألسنة واللغات؟

والجواب هو بلغة الأرض والسماء لغة [1]محمد صلى الله عليه وسلّمَ. سواءً أكان حديث أهل الجنة أم أهل النار!

ولعلّ مُردِفاً يسأل: كيف لامرئ أعجمي أن ينطلق لسانه بلغة العرب؟

والجواب هو: إنّ الله الذي أقدَرَ الأعضاء على النطق عند حسابها من يد وقدم قادر على أن ينطق اللسان بلغة العرب.

فما أحوجنا ونحن أمة الإسلام أن نحفظ جواهرها ونستوعب مفرداتها ولا نلحن بألفاظها وضبوطها.

وفي الواقع قد أساء الكتّابُ والباحثون في عصرِنا إلى مفردات العربية فاستخدموا بعض الألفاظ في غير أمكنتها، وهناك من تصدّى لهذا اللحنَ المستشري بين الناس فجمعوا الألفاظ الخاطئةَ وصوّبوها، ورسموا جداولَ كثيرةً في ضبطها، وكم من لغوي أرهق نفسه في تعريب المعجم منها وشرحها وإحصاء معانيها المختلفة ورصد المتشابه منها وجمع مصادرها ومشتقاتها. . .

لذا وجب على البُحّاث والكتّاب ألا يتوانوا في تعلّم جواهرها ورمي اللاحن منها في سلال نفاياتها لتخليص لغته من شوائبها، ولن يكون له ذلك إلا بلسان سؤولٍ وقلب عقولٍ فيسأل ويتعلم ممن كان باللغة خبيراً.

عظَمَة اللغة تُستمَدّ من داخلها:

في العربية التي تجاوزت ألفاظها الاثني عشر مليون مفردة كان لابدّ للغويين أن يجمعوها في المعجمات التي تجاوز عدد مفرداتها المليون كلمة ومعنى ومرادف وكل كلمة في اللغة العربية تحتوي على ثلاثة جذور وربما كانت أربعة جذور وهي تشبه جذور الأسنان التي هي من أدوات اللغة مع اللسان. ومن هذا الجذر(ق ص د) مثلاً نشتقّ عدداً من المفردات من مصادر ومشتقّات وأفعال مختلفة، تعالوا هنا نستأنس بالجذر(ص ر ف) لنخبركم عن مصدره مشتقاته والأفعال التي تؤخذ منه مع معانيها:

[1] من تفسير ابن كثير: بلسان عربي مبين قال: فمن دخل الجنة تكلّم بالعربية- رواه ابن أبي حاتم، وذكر ابن القيّم في كتابه (حادي الأرواح) قال: روى داوود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: "لسان أهل الجنة عربي"، وقال الزهري: لسان أهل الجنة عربي، والله أعلم.

الجذر	الفعل	وزنه	المصدر	اسم الفاعل	اسم المفعول	مبالغة اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم الآلة	اسما الزمان والمكان	اسم التفضيل
ص ر ف	صرف	فعَل	الصرْف	صارِف	مصروف	صرّاف	صَرْف	صرّافة	مَصرِف	أصرَفُ
ق ص دَ	قصدَ	فعَلَ	القصْد	قاصِد	مقصود	قصّاد	قصيد	مقصدة	مقصِد	أقصَدُ

ونفس الجذر وبحسب حروف الزيادة الداخلة عليه يتغير معناه والدلالة إليه فالمصدر من الكلمات ثابت ومنه يتم اشتقاق كمية كبيرة من الكلمات فالمصدر كتابة نشتق منه كاتب ومكتوب ومكتب ثم ننتقل إلى أفعاله المزيدة فنشتقّ منها كلمات أخرى مثال:

الفعل	اسم الفاعل	اسم المفعول	اسما الزمان والمكان	اسم الآلة
كتب يكتب اكتب	كاتِب	مكتوب	مَكتَب	مَكتَب ومكتبة
كتّب	مُكتِّب	مُكتَّبٌ	مُكتَّب	==
أكتبَ	مُكتِب	مُكتَب	مُكتَب	
كاتَبَ	مكاتب	مُكاتَب	مكاتَب	==
تكاتبَ	متكاتِب	متكاتَب	متكاتَب	==
اكتتب	مكتتِب	مكتتَب	مكتتَب	==
تكّتَبَ	متكتِّب	متكتَّب	متكتَب	==
استكتبَ	مستكتِب	مُستكتَب	مستكتَب	==

التشابه في بنية الكلمات يحوجنا إلى ضبطها:

نحتاج في كثير من الأحيان إلى ضبط بنية الكلمة، الأمر الذي يزيل اللُبس عن معانيها متشابهة المباني, وإن كان السّياق ينبئ بمعناها فالجذر(ب ر ر) متعدد المعاني والضبط هو الذي يوضّح معناه: البُرّ بضم الباء معناه القمح، والبِرّ بالكسر معناه الإحسان, البَرّ بالفتح معناه ما يبس من الأرض. مما حدا ببعض الباحثين على التشدّد في ضبط بنية الكلمة.

وكذلك كلمة الحمام بمعنى الموت إن كانت مكسورة الحاء، وهي بمعنى السيد إذا كانت حاؤها مضمومة، وتكون الطير إذا كانت حاؤها مفتوحة. وهناك كلمة السَّوق والسُّوق، وكلمة السّفَر والسَّفْر والسُّفَر, والقدَر والقِدْرُ، والنّفْسُ والنّفَس، والرُّحم والرّحْم والرّكْبُ والرّكبُ وغيرها كثير وهو ما يسمى عند البلاغيين بالجناس.

وهناك التراكيب التي تترجم إلى معانٍ متضّادة مثل: رغب به: أي أراده، ورغب عنه: أي كرهه.

وحذّر منه مع حذرّه، وتجافيتُ له وتجافيتُ عنه – ولعل ألفاظ الكتّاب التي جمعها الهمذاني في كتابه الألفاظ الكتّابية دلت الكثير من كتاب عصره وما بعده إلى المفردات ذات الدلالات المتشابهة:

مقتطف من باب خمود نار الحرب:

يقال: خمدت نار الحرب تخمد، وباخت تبوخ، وطفئت تطفأ، وهمدت تهمد، ووضعت الحرب أوزارها إذا سكنت، ويقال: أطفأ فلانٌ لهيب الحرب وأخمد لظاها، وأطفأ جمرتها ,أخمد ضرامها، وأخبى سعيرها [1]

ويقول الكاتب الهمذاني في باب الحب[2]:

يقال أحبَّ فلانٌ فلاناً من الحبِّ، وودّه من الودّ فهو حبيبه ووديده وومقه من المقهِ، وخالّه من الخُلّة فهو خليله وصافاه من الصفاء فهو صفيّه وخالصه من الإخلاصِ فهو خُلْصانه، وخادنه من المخادنة فهو خدينه.

وفي اللغة ألفاظ متشابهة المعاني مختلفة المباني مثالها: الشطّ والشطن بمعنى البعد والعازب والغارب وقَذَفٌ وقُذُفٌ بمعنى بعيد.

ولا يوجد اللغة العربية مفردات متشابهة، وما تعلمناه من شرح المفردات هو تقريب معانٍ موحشة بمعانٍ مأنوسة، ولكل لفظ معنى يخصّه وله استخدامه في اللغة، فلا نقول للرجل رجلاً إلا مع اكتماله ديناً وخلقاً وإلا فهو زلمة، جاء في كتاب السَّفَر، باب الرجوع للهمذاني ولا نقول للقافلة قافلة إلا إذا كانوا يتجهون إلى منازلهم.

وعبارة انكشف الأمر تختلف عن وضح وبان وأسفر وانجلى، فتقول: انهزم بعد القتال، واندحر بلا قتال.

وحتى في نفس الجذر تختلف المعاني، وكلما زاد المبنى زاد واختلف المعنى فمثلاً:زادَ الفعل المجرد يختلف في معناه عن الفعل أزاد أو تزوّد بالغ في المؤنة له ولأسرته أو استزاد: فتزوّد لنفسه وزوّد المبالغة في مؤنة غيره منه المرأة زوّدت زوجها لسفره، واستزاد طلب الزيادة من سواه سواء أكان الزاد طعاماً أم علماً، وتزاود وتزايد تدل على المشاركة مع الغير.

رشدَ أي وصل إلى الرشد بنفسه ودون وساطة.

[1] الألفاظ الكتابية صفحة 118
[2] نفس المرجع السابق باب الحب صفحة 122

وأرشدَ: دلّ سواه على الرشد، ورشّد: بالغ في الرشاد، وترشّد: تشارك مع المبالغة وراشد: شارك من غير الزيادة والمبالغة، واسترشد: طلب الرشد ممن سواه، فهذه حروف زيادة على الجذر غيرت مقاصده حسب الحاجة.

وتجد في اللغة ألفاظاً نستطيع استخدامها كمعانٍ متناقضة مثل ابتاع للبيع والشراء، وقروء لأيام الحيض والطهر.

وفي اللغة أسماء مختلفة لشيء واحد فالشمس لها أسماء كثيرة كمثال: الغزالة والجونة والضَّح والسراج والبيضاء والجارية والمهاة وسناء وذكاء. . . . .

وإذا حدثتَ عن شروقها تقول: طلعت تطلع وبزغت تبزغُ وشرقت تشرق وأضاءت تضيء وذكت تذكو، وقد تستخدم لها الكنايات فتقول قاصداً الشمس: خرجت الشمس من خدرها، وبرزت من خبائها، وكأنها فتاة جميلة.

وتقول في غروبها غابت الشمس، وغربت ووجبت وكربت وأفلت وغارت وضجت وآبت إذا مالت إلى المغيب.

إثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط:

أ– أول حرف في الكلمة: مثاله نتق وفتق وقرب وكرب وخضم وقضم كلا المفردتين الأخيرتين تدل على الأكل، فأما قضم فلأكل الأشياء القاسية كالقضامة، وأما خضم فلأكل الأشياء اللينة كالرطب والطلح وغيرهما. ومثلها سعد وصعد.

ب – ما وقع في وسط الكلمة: كبر وكثر قدر وقتر فالدال والتاء قريبتا المخرج.

ج – آخر الكلمة مثل نضج ونضخ وعرف وعرق. وأما نضح ونضخ: فالنضح للماء الضعيف والنضخ أقوى منه قال تعالى: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (الرحمن: ٦٦).

تغيّر معنى الكلمة تبعاً لضبطها:

وهو ما يسمى باللغة الاشتقاق الأصغر:

والمثال عليها الجذر (ع ر ف):

العَرْفُ والعُرْفُ، فالعَرف بفتح العين هو البروز والنتوء, وأما العُرْفُ فله معنى السّياق, فتارة يكون بمعنى الرائحة الطيبة، قال أبو تمام:

لولا اشتعالُ النار فيما جاورتْ ما كان يعرف طيبُ عُرْفِ العودِ.

و تارة يكون بمعنى ما تعارف عليه الناس وأصبح من معارفهم القديمة، قال الحطيئة:

من يفعل المعروفَ لا يعدمْ جوازيه لا يذهب العُرْفُ بين اللهِ والناس.

أخطاء الكُتّاب:

غالباً ما يقع الكتّاب بأخطاء كثيرة في كثير من ألفاظهم وتراكيبهم وما ذلك إلا بسبب عدم مكنتهم من قواعد اللغة العربية، وتقصيرهم في تعلمها، والإحاطة بعلومها من نحوٍ وصرفٍ وإملاء وتعبير، وقد حاولت حصر هذه الأخطاء مع أمثلة عنها، فبالاستقراء وجدتُ:

تكثر أخطاؤهم بالأسماء المثناة وجموع المذكر السالم وما يلحقه، والعدد وتمييزه، ومتى يوافق معدوده ومتى يخالفه، ومواضع فتح همزة إنّ وكسره، كما تكثر الأخطاء في مواضع همزتي الوصل والقطع، والألف الليّنة ومدها أو قصرها، وكتابة الهمزات بأنواعها: الأولية والمتوسطة والمتطرفة، وأحوالها الشاذّة، كما تكثر الأخطاء بضبط أسماء وأخبار النواسخ (الأفعال الناقصة والأحرف المشبهة بالأفعال) ما بين رفع ونصب، ويكثر لحنهم أيضاً في الأسماء الخمسة، وفي الواقع أخطاء الطلبة والكتّاب غير المختصين بعلوم اللغة العربية وآدابها أكثر من القدرة على حصرها.

أمثلة: نقول: جاء محمدان ورأيت محمَدَين ومررتُ بمحمّدَين، وزيدانِ في الحديقة ويمينان غموسان، وراعها بطلقتين بائنتينِ، وإرادتان منفصلتان، وتتمتّع المرأتان بذمتين ماليتين منفصلتين. . . وهكذا. .

فالمثنى فيما سبق إنْ كان في حالة الرفع كانت علامة إعرابه الفرعية هي الألف، وإنْ كان في حالتي النصب والجرّ نُصبَ وجُرّ بالياء.

ونقول في المبتدأ والخبر: (له عليّ حقٌّ) وليس حقاً، و(إنّ له يداً)، و(كانت له يدٌ)، لأنّ اسم إنّ منصوب وهو متأخِّر بالجار والمجرور، واسم كان مرفوع وهو أيضاً متأخّر بالجار والمجرور, وهذا كثير في الأخطاء.

ونقول كذلك: إنّ الصيفَ حارٌّ وكان الصيفُ حاراً.

إنّ الصيرفيَينِ مؤتمنانِ وكان الصيرفيان مؤتمَنَينِ، مع مراعاة فتح الياء قبل ياء التثنية خشية من التباسها مع الجمع، وكسر النون التي هي عوضٌ عن التنوين في الاسم المفرد.

وفي الجمع نقول: إنّ الصيرفيينَ مؤتمنونَ، وكان الصيرفيون مؤتمنينَ، وإنّ الاقتصاديينَ متمكنون، وكان الاقتصاديون متمكنينَ مع فتح نون الجمع.

وفي ضبط أسماء وأخبار كان وأخواتها في حالة الإفراد: كان الاقتصاديُّ ناجحاً وإنّ الاقتصاديَّ ناجحٌ.

وسامرٌ اقتصاديٌّ ناجحٌ، ورأيته اقتصادياً ناجحاً، ومررت باقتصاديٍّ ناجحٍ.

وفي الأسماء الخمسة:

جاء أخوكَ ورأيتُ أخاكَ ومررتُ بأخيكَ

جاء أبوكَ ورأيتُ أباكَ ومررت بأبيكَ

وإن أخاكَ عونٌ في الملمات، وكان أخوكَ عوناً في الملماتِ، وجاء حموكَ ورأيتُ حماكَ ومررت بحميكَ.

لا فُضَّ فوكَ، ولافَضَّ اللّهُ فاكَ، وما أراك اللّهُ فَضّاً بفيكَ.

ويتواتر الخطأ بكتابة الهمزات، وعلى الرغم من اختلاف المدرستين البصرة والكوفة وميل بعض البلدان العربية إلى تقليد الكتابة القرآنية التي هي كتابة وقفية، إلا أننا في بلاد الشام نتّبع قواعد مدرسة البصرة.

فمثلاً في حالة الرفع: أبناؤنا ذخرٌ للإسلام، والنصب: إنّ أبناءنا ذخرٌ للإسلام، ونرجو من أبنائنا أن يكونوا ذخراً للإسلام، في حالة الجرِّ.

وفي كتابة الهمزات بأنواعها:

الهمزة المتوسطة	الهمزة المتطرفة
ضوءُه وضوءَه	سيّئاً سيّئ
عباءة وقراءة	شيْء وشيئاً
بيْئَة وهيئة	دفْء ودفئاً
مرؤءَة	مساءً وماء وبراء
فيئُها وفيئَها وبفيئِها	جزء وجزءاً
مؤءُودة	بدْء وبدءاً وبدَأً

وكتّاب العرب يخطئون بالأعداد ومعدوداتها من حيث تذكير وتأنيث الأعداد ومن حيث رفع أو نصب أو جر معدوداتها، فالأعداد: (١ و ٢) و (١١ و ١٢): متوافقة مع معدوداتها تذكيراً وتأنيثاً، فأنتَ يجب أن تقول: إحدى وعشرون قناةً، وأحدَ عشرَ سيفاً، واثنتا عشرة دريئةً، واثنا عشر درعاً.

أما الأعداد من (١٣ إلى ١٩) : فالجزء الأول منها مخالف لمعدوده دائماً في التذكير والتأنيث, فأنتَ تقول : جاء ثلاثةَ عشرَ رجلاً، وثلاثَ عشرةَ امرأةً، ورأيت أربعةَ عشر رجلاً، وخمسَ عشرةَ امرأةً، ولا يتوافق الجزءان معاً في التذكير والتأنيث إلا في العدد الترتيبي فتقول : المرأةُ السابعةَ عشرةَ والرجل التاسعَ عشرَ . ولا يضبط العدد المركب إلا بالبناء على فتح الجزأين مهما كان محله من الإعراب رفعاً أو نصباً أو جرّاً .

أما ألفاظ العقود من الأعداد التي ننتقل بينها عشرة أعداد عشرة أعداد فهي تخضع لإعراب المذكر السالم رفعاً بالواو ونصباً وجرّاً بالياء، كونها ملحقة به، ولا عبرة للتذكير والتأنيث في ألفاظ العقود مثال :

أ– جاء ثلاثون رجلاً وثلاثون امرأةً .

ب– رأيت ثلاثين امرأة وثلاثين رجلاً .

ج– مررت بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأةً .

ويخطئ الكاتب في مواضع همزتي الوصل والقطع، فإن جاءت الهمزة في أمر الفعل الثلاثي فهي وصل بلا همزة مثال : ادرس، اصرف .

- وإن جاءت في الماضي الخماسي وفي أمره وفي مصدره فهي وصل نحو : اقتصَدَ –اقتصِدْ– اقتصاد .
- وإن جاءت في الماضي السداسي وفي أمره وفي مصدره فهي وصل نحو : استدانَ– استدِنْ– استدانة .
- وهي تأتي وصلاً في أسماءٍ عشرة هي : ابن وابنة وامرؤ وامرأة واثنان واثنتان واسم واست وايمن الله وايم الله، ويشترط في الأخيرتين أن تُسبقا بواو القسم فإن لم تسبقا بالواو صارتا همزة قطع مثل : أيمن الله – أيم الله .
- وفي بعض الأسماء مثل اثنان إن صار علماً ليوم الإثنين قطعت همزته، والاسم إنتصار أيضاً إذا سمي به إنسان وفي القواعد شواذّ دائماً والعربية بحر عباب لا يحاط بسواحله .